قيام الحضارة وتوازنها منوط بوجود المسلم المتوازن

شاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال (رحمه الله)

د. سامر مظهر قنطقجي

أيها السادة إن المسلم له وجودان: الوجود الإنساني والوجود الإيماني.

أما الوجود الإنساني، فهو الوجود الذي يشاركه فيه كل إنسان، يولد كعامة الناس، وينشأ ويكبر كعامة الناس، ويجوع ويظمأ، ويشعر بالبرد والحر، ويأكل ويشرب، ويصح ويمرض، ويموت ويحيا، ويفقر ويغنى، ويزرع ويتجر، ويعول العيال ويربي الأطفال، ويقتني الأموال ويحكم البلاد والرجال. فهو في هذا الوجود خاضع للسنن الطبيعية تجري عليه كما تجرى على غيره وتنفذ فيه كما تنفذ في أي إنسان آخر وتقسو عليه كما تقسو على غيره ولا تتسامح معه لأنه يحمل اسما خاصا وينتمي إلى جنس خاص ويلبس لبسا خاصا، وهو ذرة حقيرة في صحراء الوجود المترامية، وموجة عادية تأتي وتذهب في بحر الكون الزاخر من غير أن يشعر بها أحد، فإذا اقتصر المسلم على هذا الوجود البشري العام وعاش كإنسان لا أقل ولا أكثر كان كائناً ضعيفاً فانياً ليست له قيمة كبيرة في نظير صير في الوجود، وإذا مات في وقته ما بكت عليه السماء والأرض وما خسر فيه العالم شيئاً كبيراً.

أما الوجود الإيماني فهو يحمل رسالة خاصة رسالة الأنبياء والمرسلين، ويؤمن بمبادئ خاصة، ويعتقد اعتقادا خاصا، ويعيش لغاية خاصة، فهو من هذه الناحية سرّ من أسرار الحق ودعامة من دعائم العالم وحاجة من حاجات البشرية يستحق أن يعيش ويستحق أن ينتصر ويستحق أن يزدهر، بل يجب أن يعيش ويجب أن ينتصر ويجب أن يزدهر ويدوم مع البشرية ومع هذا الكون، فحاجة البشرية وحاجة الكون إليه ليست أقل من حاجتهما إلى الماء والهواء والنور والحرارة. فإذا كانت أشكال الحياة مرتبطة بالماء والهواء والنور والحرارة ،كانت معاني الحياة وحقائقها مرتبطة بالغايات والأرواح والإيمان والأخلاق التي تتكفل رسالات الأنبياء بشرحها وبيانها ويتكفل المسلم بإعلانها والقيام بها والجهاد في سبيلها، فلولا هو لضاعت هذه الغايات والرسالات وأصبحت سرا مكتوما.

إذن فمركزه في العالم وبقائه كبقاء الشمس والكواكب النيرة تنقرض الأجيال والأمم وتحول الأنهار مجراها وتخرب عمائر وتعمر خرائب وتقوم حكومات وتتقلص حكومات وتأتي مدنيات وتذهب مدنيات وهو قائم لا يزول ولا يحول.

عن كتاب شاعر الإسلام لأبي الحسن علي الحسني الندوي

مكتبة دار الكتاب العربي بالقاهرة – ١٩٥١